

الأقليات: كما يراها الامام الشيرازي

2017-07-06 المرجع الراحل الامام السيد محمد الشيرازي

الأقلية الاصطلاحية على قسمين:

الأول: من يكون مسلماً، وهذا لا يسمى أقلية، بل كل المسلمين متساوون في الحقوق والواجبات، من غير تفاوت بين الألوان واللغات والقوميات وغيرها.

الثاني: من لا يكون مسلماً، وهذا القسم يسمى في الاصطلاح الإسلامي بالأقلية، أو بالذمي، وهؤلاء يتركون وشأنهم، إذ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (1)، و﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (2)، ولهم شعائرهم إذا لم يظهروا بالمناكير، ويحق لهم أن يراجعوا قضاتهم أو قضاتنا، وأحوالهم الشخصية تجري حسب ما عندهم، فلا يجبرون على اتباع فقهننا، ويجرى في حقهم قانون (ألزموهم بما التزموا به) (3).

لكن إذا رأى المسلمون الصلاح في دخولهم في مجلس الأمة، لا يكون لهم إلا حق التصرف في شؤون موكلهم من غير المسلمين، كما لهم المطالبة بما هو حقهم في الدولة الإسلامية، من حفظ النفس والمال والعرض، وما جعل الإسلام لهم من حق في قبال ما يؤخذ منهم من المال.

أما الأقلية السياسية، وهي عبارة عن تجمع الأقلية، والتي يجب أن تكون في الإطار الإسلامي، لأن المفروض أن الدولة للإسلام، فلهم حق نقدهم واجتهادهم، ومعارضتهم في إطار النصيحة، كما قال (عليه السلام): (الدين النصيحة) (4)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعاونة على البر، والمشورة.

وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (أيها الناس أشيروا علي)، وتقدم قول علي (عليه السلام) في المشورة، كما ورد في حديث عنهم (عليهم السلام): (خير الإخوان من أهدى إلي عيوبي) (5)، إلى غير ذلك مما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن الحقوق المذكورة ثابتة حتى للأفراد، ولا تختص بالأقليات السياسية، لإطلاق أدلتها.

أحزاب الأقليات

قد تشكل الأقليات أحزاباً للدفاع عن مصالحها، سواء كانت الأقلية دينية، أو لغوية، أو نازحين من بلد آخر، أو ما أشبه ذلك، ومثل هذه الأحزاب لا تسمى نفسها الأحزاب المدافعة عن الأمة، ولا تجمع حول نفسها كل من تمكن، بل من كان داخلياً في تلك الأقلية.

وفي البلاد التي فيها جملة من الأقليات، مثل الكردية والعربية واليهودية والمسيحية، في تركيا وما أشبه، تشكل كل أقلية منهم حزباً، وذلك لتحصيل منافع أكثر، من مدارس ومصحات وإذاعة وثقافة خاصة بهم، وما أشبه ذلك.

وفي الإسلام نسمي غير المتدينين بدين الإسلام أقلية، أما المتدينين بهذا الدين فلا فرق بين أفرادهم في أي جهة من الجهات كما هو واضح.

وكثيراً ما يصل من أحزاب الأقلية مندوبون إلى المجلس، مثل وصول الإيرلنديين إلى مجلس العموم البريطاني، ومثل وصول أعضاء من الحزب الكردي إلى مناصب رفيعة في الدولة في العراق عام (1960 م).

وينبغي هنا الإلماع إلى أن تشكيل الأكراد حزباً في العراق، إنما كان لأجل اضطهاد القومية العربية للأكراد مما اضطرتهم إلى تشكيل حزب الأقلية وحمل السلاح في وجه الحكم، فإنهم قالوا إذا كنتم أنتم أيها العراقيون قوماً عرباً فنحن قوم كرد، فلماذا يكون لكم كل شيء ولا يكون لنا شيء، لكن العراق إذا صار إسلامياً زالت الفوارق، وكان الميزان الكفاءة، فلا فرق بين الكردي والعربي والفارسي وغيرهم، وإنما كل مسلم متساوي الحقوق مع الآخرين.

وفي إيران شكل الأرامنة في أوائل الحركة الدستورية حزب (دشناكسيون)، إلى غير ذلك من أمثلة الأحزاب للأقليات في البلاد الإسلامية وغيرها.

وكلما كان حزب الأقلية أكثر نضوجاً، تمكن من الوصول إلى أهدافه أسرع.

وربما يتبدل حزب الأقلية إلى حزب سياسي حاد، إذا لم تستجب الدولة إلى مطالبه، كما تبدل حزب (الاتحاد الإسلامي الأحمر) الذي تشكل في إندونيسيا إلى الحزب الشيوعي، زعماً منه أنه بهذه الطريقة يتمكن من إنقاذ حقوق المسلمين.

كما أن حزب الأقلية قد يتبدل إلى حزب الأكثرية إذا سار في هذا الطريق، مثل الحزب (الديمقراطي المسيحي) في ألمانيا، حيث تمكن من النفوذ في كثير من الكاثوليك والبروتستانت، فصاروا من أنصاره وبذلك صار حزباً للأكثرية.

الدولة وأحزاب الأقلية

ثم إن من الضروري على الدولة أن تلاحظ أحزاب الأقلية، لكي لا تسبب تجزئة الدولة فيما كان الحزب قوياً، كما حدث ذلك بالنسبة إلى الجناح الإسلامي في حزب المؤتمر في الهند، حيث سبب تجزئة الهند إلى الهند والباكستان، وذلك أثر عدم قبول حزب المؤتمر إعطاءهم حق الأكثرية في الأقلية، بأن يعملوا بالنسبة إلى المسلمين الذين كانوا يمثلونهم ما يشاؤون، فقال الجناح الإسلامي: الآن وأنتم تحت الاستعمار البريطاني وضعفاء، لا تقررون لنا ذلك الحق، فإذا وصلتكم إلى الحكم وكانت لكم الأكثرية ذاب المسلمون في أكثريتكم، ولذا جناح الجناح الإسلامي بقائده (جناح) إلى الاستقلال.

وهناك خلاف بين المسلمين في باكستان والمسلمين في الهند، هل كان استقلال باكستان في نفع البلاد، حيث لولا الاستقلال لذاب المسلمون في الأكثرية غير الإسلامية كما يقوله الباكستانيون، أو كان الأصلح العكس، بأن لاتستقل باكستان حيث تكون القوة الإسلامية في القارة الهندية ضمان رجوع الهند إلى كما كانت في أيديهم قبل استعمار بريطانيا للهند، منذ ثلاثمائة وخمسين سنة، حيث إن الإسلام دخل الهند من زمان الإمام السجاد (عليه السلام) وأخذ البريطانيون الهند من أيدي المسلمين بعد كونها في أيدي المسلمين قرابة عشرة قرون، كما يقوله الهنديون.

ثم إنه قد تتشكل أحزاب الأقلية بالنسبة إلى الصنائع والمهن، مثل حزب أصحاب الصنائع، وحزب التجار، وما أشبه، لكن الغالب فشل هذه الأحزاب، حيث إن الأمة لا تقف وراء هذه الأحزاب، وكل حزب لا يستمد نشاطه وقوته من الأمة لابد وأن يفشل أخيراً.

حكم الأقليات في البلاد الإسلامية

إن الأقليات غير الإسلامية محترمون نفساً ومالاً وعرضاً إذا وفوا بشروط الذمة، مما ذكرناها في كتاب (الفقه: الجهاد) حيث إن الإسلام لا يتعرض لهم بسوء ويدافع عنهم.

فالإسلام لا يجبر أحداً على الدخول في الإسلام، ولذا قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (6).

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (7)، فليس شأن الرسول (صلى الله عليه وآله) مع أهل الكتاب ومع المشركين إلا الدعوة.

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (8).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (9).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (10).

وعليه فهم أحرار في قبول الإسلام وعدم قبوله، وإن كان عدم قبولهم يؤدي بهم إلى مشاكل الدنيا والآخرة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (11).

فإذا لم يقبلوا تركوا وشأنهم، وإذا كان الإسلام يحارب الحكومات الكافرة لأجل إعطاء الحرية للأمم، حيث إن حكومة الكفر عبارة أخرى عن الاستعباد، فإن الإسلام ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٢﴾ عَلَى الشُّرُوطِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

كما أمر الإسلام بمداراة الكافرين غير المحاربين، فقد قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (13).

وإذا قبلوا الإسلام كان لهم ما لغيرهم من المسلمين، فإن المسلمين كأَسنان المشط لا فرق بين جديدهم وقديمهم، ولغاتهم وأقوامهم، وإنما أكرمهم عند الله أتقاهم.

* مقتطف من كتاب الفقه السياسي للمرجع الديني الراحل الامام السيد محمد الشيرازي

.....

(1) سورة البقرة: 256.

(2) سورة الكافرون: 6.

(3) الوسائل: ج 17 ص 598 الباب 3 من أبواب ميراث الجد ح 2.

(4) الوسائل: ج 11 ص 595 الباب 35 من فعل المعروف ح 7.

(5) الوسائل: ج 18 ص 32 الباب 24 من العشرة ح 1.

(6) سورة البقرة: 256.

(7) سورة آل عمران: 20.

(8) سورة النحل: 125.

(9) سورة العنكبوت: 46.

(10) سورة البقرة: 170.

(11) سورة البقرة: 170.

(12) سورة الأعراف: 157.

(13) سورة الممتحنة: 8.